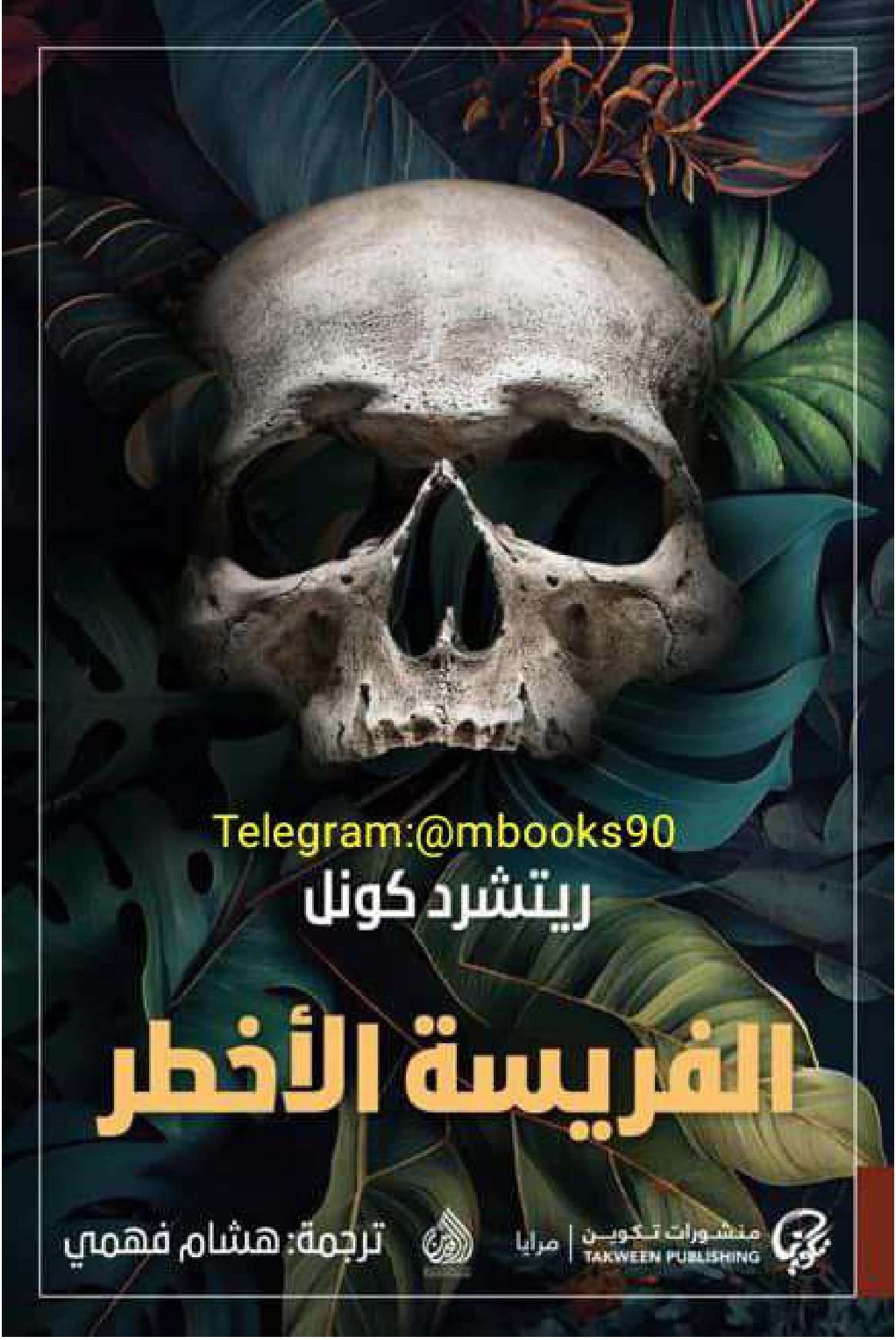

Telegram:@mbooks90

ريتشرد كونل

الفريسة الأخطر

منشورات تكوين TAKWEEN PUBLISHING | مرايا

ترجمة: هشام فهمي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكاتب: ريتشرد كونل
عنوان الكتاب: الفريسة الأخطر
ترجمة: هشام فهمي

العنوان باللغة الأصلية: The Most Dangerous Game
الكاتب: Richard Connell

تصميم الغلاف: يوسف العبدالله
تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 978-9921-775-89-1
الطبعة الأولى - يوليو/ تموز - 2023
3000 نسخة

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

منشورات تكوين TAKWEEN PUBLISHING
الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة
تلفون: 40 04 81 98 965 +
بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي
تلفون: 60 58 00 11 78 964 +
takweenkw
takween.publishing@gmail.com
TakweenPH
takween_publishing
www.takweenkw.com

لبنان - بيروت / الحمرا
تلفون: 683 345 1 961+ / 980 541 1 961+
بغداد - العراق/ شارع المتنبي، عمارة الكاهجي
تلفون: 07830070045 / 07810001005
Dar alrafidain
daralrafidain@yahoo.com
Dar.alrafidain
info@daralrafidain.com
Da-alrafidain
www.daralrafidain.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدّمة المُترجم

وصفَ النُّقّاد «الفريسة الأخطر» بأنها «أشهر قصّة قصيرة كُتبَت بالإنجليزيَّة على الإطلاق»، فمنذ نشرَها ريتشرد كونل لاقَت إقبالًا جماهيريًّا كبيرًا، لحبكتها التي تتضافَر فيها عناصر المغامرة والإثارة مع طابع القصص القوطيَّة، لتطرح أسئلةً عن الطَّبيعة البشريَّة وقُدرة الإنسان على العُنف، وتُلقي بتعليقاتٍ على عالم الرُّبع الأوَّل من القرن العشرين، الذي شهدَ تغيُّراتٍ اجتماعيَّةً وسياسيَّةً جسيمةً في أعقاب الحرب العالميَّة الأولى.

وُلِدَ ريتشرد إدوارد كونل بنيويورك في عام ١٨٩٣، ومنذ صِغره أحبَّ الكتابة وبرعَ فيها، فعملَ محرِّرًا لجريدةٍ محلِّيَّة مع بلوغه السَّادسة عشرة، وفي أثناء دراسته بجماعة جورجتاون عملَ مساعدًا لوالده عضو الكونجرس، وإن اضطرَّ إلى ترك العمل في واشنطن بعد عامٍ واحد، ليُقاتِل مع الجيش الأمريكي في أوربا بعد قيام الحرب. بعد عودته إلى الولايات المتَّحدة احترفَ الكتابة، فنشرَ أربع رواياتٍ وأكثر من ثلاثمئة قصَّة قصيرة ومقالاتٍ عديدةً حتى وفاته بأزمةٍ قلبيَّة في عام ١٩٤٩.

Telegram:@mbooks90

ولكن تبقى «الفريسة الأخطر» أشهر أعماله وأهمَّها، وقد نُشرَت القصَّة للمرَّة الأولى في عدد ١٩ يناير ١٩٢٤ من مجلَّة *Collier's Weekly*، مصحوبةً برسوم لويلموت إمرتن هايتلاند.

تُرجمَت القصَّة إلى عشرات اللُّغات، ومن الملحوظ أن بعض التَّرجمات -منها ترجمات عربيَّة قديمة- نقلَ كلمة Game من العنوان بالمعنى الأشيع، أي «اللُّعبة»، في حين أنَّ المقصود بالكلمة، كما يُشير النَّصُّ بوضوح، هو «الفريسة»، ففي الحقبة التي كُتبَت فيها القصَّة، علاوةً على تأثُّر كونل بتجربته في الحرب، كان أحد أبرز الأنشطة التي تباهَت الطَّبقة الأرستقراطيَّة الأمريكيَّة بممارستها، رحلات السافاري وصيد الحيوانات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الضّارية في إفريقيا وأمريكا الجنوبيّة.

ككلّ القصص العظيمة، تَصلُح ثيمات «الفريسة الأخطر» لأيِّ مكانٍ وأيِّ عصر، وبما أنها أوّل قصّة معروفة لعبَت على ثيمة «تحوُّل الصيَّاد إلى طريدة»، فلم تلبث أن اقتبسَتها السينما في فيلم من إخراج إرنست بي شودساك وإرڤنج پيتشل في عام ١٩٣٢، يحتفظ بحبكة القصّة ولكن يبدو تأثُّره بفترة الكساد العظيم الذي أُنتجَ فيها، ومن بعده اقتُبسَت القصّة مرارًا في السينما، وحسب زمن الإنتاج نرى في تلك الأفلام تعديلاتٍ تلعب على فكرة الخوف من النازيَّة، أو الشيوعيَّة، أو التَّورُّط في حرب ڤيتنام، وحتى فكرة الانفتاح الجنسي في أمريكا في الستينيَّات والسبعينيَّات، وما زالَت السينما حتى اليوم تُعيد حكي القصّة بصورةٍ أو بأخرى.

فازت «الفريسة الأخطر» في عام نشرها نفسه بجائزة «أو هنري» للقصّة القصيرة، وطُبعَت بعد ذلك مرارًا في طبعاتٍ منفردة، وفي عددٍ كبير من أنثولوجيات القصص القصيرة، أحيانًا تحت عنوان «كلاب زاروف».

٢٧٠٥٨١٨٦٥٨
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفريسة الأخطر

Collier's
THE NATIONAL WEEKLY

The Most Dangerous Game

By Richard Connell

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال وِتني: «هناك إلى اليمين، في بُقعةٍ ما، جزيرة كبيرة، مكانٌ يحفُّه قدرٌ كبير من الغموض...».

سألَه رينزفرد: «أيُّ جزيرةٍ هي؟».

أجابَ وِتني: «الخرائط القديمة تُسمِّيها «مصيدة السُّفن». اسمٌ موحٍ، أليس كذلك؟ عند البحَّارة رهبةٌ غريبة من المكان. لا أعرفُ السَّبب. نوعٌ ما من التَّطيُّر...».

- «لا أراها». ألقى رينزفرد التَّعليق محاولًا أن يخترق ببصره حُجب الظَّلام الاستوائي الرَّطب، الذي ضيَّق بسواده الدَّافئ الكثيف على اليخت حتى صارَ ملموسًا.

قال وِتني ضاحكًا: «عيناك حادَّتان، ولقد رأيتك تقتنص موظًا يتحرَّك في أحراش الخريف البنِّيَّة من بُعد أربعمئة ياردة، ولكن حتى أنت لا تستطيع أن ترى شيئًا من مسافة أربعة أميالٍ أو نحوها في ليلةٍ كاريبيَّة بلا قمر».

أقرَّ رينزفرد: «ولا أربع ياردات حتى. آخ! كأنه مخملٌ أسود مبلَّل بالنَّدى».

وعدَه وِتني قائلًا: «سنجد ضوءًا يكفي في ربو. المفترَض أن نصل في غضون أيَّامٍ قليلة. آملُ أنَّ بنادق صيد اليَغُوَر وصلَت من عند بِردي(1). أتوقَّعُ أن نجد فرائس مناسبةً للصَّيد على ضفاف الأمازون. رياضةٌ رائعة الصَّيد».

أيَّده رينزفرد بقوله: «أفضل رياضةٍ في العالم».

استدركَ عليه وِتني: «للصيَّاد لا لليَغُوَر».

ردَّ رينزفرد: «لا تتفوَّه بهذه الحماقات يا وِتني. إنك صيَّاد فرائس كبيرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا فيلسوف. مَن يُبالي بمشاعر اليَغُوَر؟».

عقَّب وِتني: «لعلَّ اليَغُوَر نفسه يُبالي».

- «هُراء! إنها حيوانات لا تفهم».

- «ورغم ذلك أعتقدُ أنها تفهم شيئًا واحدًا: الخوف. الخوف من الألَم، والخوف من الموت».

ضحكَ ريتزفرد قائلًا: «كلامٌ فارغ. هذا الطَّقس الحارُّ يجعلك خرعًا يا وِتني. كُن واقعيًا. العالم يتألَّف من فئتين: الصيَّادين والطَّرائد، ولحُسن الحظِّ أنَّ كلينا صيَّاد. أتظنُّ أننا تجاوَزنا الجزيرة؟».

- «لا أستطيعُ التَّحديد في الظَّلام. آملُ هذا».

- «لماذا؟».

- «إنَّ لهذا المكان سُمعةً... سُمعةً سيِّئةً».

سألَه ريتزفرد مخمِّنًا: «أكَلة لحوم بشر؟».

- «إطلاقًا. حتى أكَلة لحوم البشر لا يُمكن أن يَسكُنوا مكانًا موحشًا كهذا. على أنَّ الجزيرة دخلَت معارف البحَّارة بوسيلةٍ ما. ألم تلحظ أنَّ أفراد الطَّاقم بدوا متوتِّرين نوعًا اليوم؟».

- «لقد تصرَّفوا بشيءٍ من الغرابة بالفعل، بما أنك ذكرت الأمر. حتى القُبطان نيلسن...».

- «نعم، حتى ذلك السويدي العجوز العنيد، الذي لا يهاب أن يذهب إلى الشَّيطان نفسه ليسأله أن يُشعِل له سيجاره. هاتان العينان الزَّرقاوان المتوعِّدتان حملتا نظرةً لم أرَها فيهما من قبل قَطُّ. لم أستطِع أن أستخلص منه إلَّا قوله: *لهذا المكان اسم شرِّير بين مرتادي البحر يا سيِّدي*، ثم قال لي بخطورةٍ شديدة: *ألا تَشعُر بشيء؟* كأنَّ الهواء حولنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سامٌ في الحقيقة. يجب ألَّا تضحك حين أخبرك بهذا، لكنني شعرتُ بشيءٍ بالفعل، شيءٍ كبرودةٍ مفاجئة. لم يهبَّ نسيم وقتها، والبحر كان هادئًا مسطَّحًا كنافذةٍ زُجاجيَّة. حدثَ ذلك في أثناء اقترابنا من الجزيرة، وما شعرتُ به هو... هو برودة عقليَّة، نوع من الخشية المفاجئة».

ردَّ رينزفرد: «خيال صِرف. من الممكن أن تُلوِّث مخاوف بحَّارٍ متطيِّر واحد طاقم سفينةٍ بأكمله».

- «ربَّما، ولو أني أحسبُ أحيانًا أنَّ للبحَّارة حاسَّةً إضافيَّةً تُنبِئهم بوجودهم في خطر. أحيانًا أفكِّرُ أنَّ الشَّر شيءٌ محسوس له طولٌ موجي، تمامًا كالصَّوت والضَّوء. من شأن مكانٍ شرِّير -إن جازَ التَّعبير- أن يبثَّ ذبذباتٍ شرِّيرةً. على كلٍّ حال، إنني مسرورٌ لخروجنا من هذا النِّطاق. حسن، أظُنُّني سأخلدُ إلى النَّوم الآن يا رينزفرد».

قال رينزفرد: «لستُ ناعسًا. سأدخِّنُ غليونًا آخَر فوق السَّطح الخلفي».

- «ليلةً طيِّبةً إذًا يا رينزفرد. أراك وقت الإفطار».

- «ليكن. ليلةً طيِّبةً يا وِتني».

***

لم يتخلَّل اللَّيل صوتٌ فيما جلسَ رينزفرد هناك، إلَّا نبضات المحرِّك المكتومة إذ يدفع اليخت بسرعةٍ في الظَّلام، وهسيس الماء الممخوض المتموِّج في أثر المروحة.

استلقى رينزفرد على مقعدٍ نافخًا الدُّخان بتراخٍ من غليونه المفضَّل المصنوع من خشب الخلنج الشَّجري، وقد بدأ وسن اللَّيل المغوي يتملَّكه. فكَّر: «الظَّلام دامس لدرجة أنَّ بإمكاني النَّوم دون أن أغمض عينيَّ، فيقوم اللَّيل مقام جفنيَّ...».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أجفلَه صوتٌ مباغت. من مكانٍ ما إلى اليمين سمعَه، وبلا مجالٍ لأن تُخطِئه أُذناه المتمرِّستان على هذه الأشياء.

ثانيةً سمعَ الصَّوت، ثم ثالثةً. في بُقعةٍ ما في الظُّلمة أطلقَ أحدهم النَّار ثلاث مرَّات.

هبَّ رينزفرد من مقعده، وإلى حاجز اليخت أسرعَ حائرًا ليُدقِّق النَّظر في الاتِّجاه الذي صدرَ منه الدَّوي، ولكن كأنما يُحاوِل الرُّؤية من خلال دثارٍ سميك. وثبَ واقفًا فوق الحاجز، ووازنَ نفسه ليَنظُر من ارتفاعٍ أعلى، وفي أثناء ذلك خبطَ غليونه حبلًا ليَسقُط من فمه، فاندفعَ رينزفرد محاولًا الإمساك به، ومن بين شفتيه خرجَت صيحةٌ قصيرة مبحوحة لمَّا أدركَ أنه مدَّ نفسه أكثر من اللَّازم وفقدَ توازُنه، واختنقَت صرخته إذ غمرَت مياه البحر الكاريبي الدَّافئة كالدَّم رأسه.

كافحَ رينزفرد ليطفو فوق السَّطح، وحاولَ أن يرفع عقيرته بالصِّياح، إلَّا أنَّ الأمواج المرتدَّة عن اليخت المسرع لطمَته على وجهه، والماء المالح الذي ملأ فمه المفتوح كمَّمه وخنقَه. بيأسٍ شرعَ يسبح بضرباتٍ قويَّة في أعقاب أضواء اليخت المتضائلة، ثم توقَّف قبل أن يقطع خمسين قدمًا وقد تملَّكه نوعٌ معيَّن من الهدوء، فليست هذه أوَّل مرَّةٍ يجد نفسه في مأزق. فُرصة أن يسمع أحدٌ على متن اليخت صياحه واردة، لكنها ضعيفة، وتزداد ضعفًا مع انطلاق اليخت في طريقه.

نزعَ ثيابه عن جسده وصاحَ بكلِّ ما أوتيَ من قوَّة، وخفتَت أضواء اليخت مستحيلةً إلى يراعاتٍ ظلَّت تتلاشى حتى حجبَها اللَّيل تمامًا.

تذكَّر رينزفرد الطَّلقات التي صدرَت من اليمين، وبعنادٍ سبحَ في هذا الاتِّجاه بضرباتٍ بطيئة متمهِّلة ليدَّخر قُواه. لوقتٍ بدا بلا نهايةٍ قاومَ البحر، وبدأ يعدُّ ضربات ذراعيه. قد يقوى على مئةٍ أخرى، وبعد ذلك...

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فجأةً سمعَ رينزفرد صوتًا من الظَّلام، صوتًا صارخًا صاخبًا، صوت حيوانٍ في أقصى درجات الألم والرُّعب.

لم يُميِّز الحيوان الذي أطلقَ الصَّوت ولم يُحاوِل، وبحيويَّةٍ تجدَّدت سبحَ صوب المصدر، ثم سمعَ الصَّوت ثانيةً قبل أن تَبثُره ضوضاء أخرى متقطِّعة حادَّة.

غمغمَ رينزفرد مواصلًا السِّباحة: «طلقة مسدَّس».

***

أبلغَت عشر دقائق أخرى من الجهد الحثيث مسامعه صوتًا آخَر، أكثر صوتٍ رحَّب بتلقِّيه على الإطلاق: همهمة موج البحر ودمدمته إذ يتكسَّر على ساحلٍ صخري. كادَ يصل إلى الصُّخور قبل أن يراها، ولتحطَّم جسده عليها حقًّا لو أن اللَّيلة أقلُّ هدوءًا. بقوَّته المتبقِّية جرَّ نفسه من دوَّامات الماء، وتراءَت له جروف محزَّزة تَبرُز مرتفعةً في العتمة، فدفعَ نفسه إلى أعلى بيده هذه تارةً وبهذه تارةً، حتى وصلَ بأنفاسٍ متقطِّعة ويدين مسحوجتين إلى مكانٍ مسطَّح فوق القمَّة، حيث تنتهي غابةٌ كثيفة عند حافة الجروف بالضَّبط. لم يشغل رينزفرد باله في تلك اللَّحظة بما قد يَكمُن له من أخطارٍ وسط هذه الأشجار والشُّجيرات المتشابكة، ولم يعلم إلَّا أنه في أمانٍ الآن من عدوِّه البحر، وأنه منهَك لأقصى درجة، وهكذا ألقى بنفسه أرضًا عند حافة الغابة، وسقطَ من فوره في أعمق سُباتٍ في حياته كلِّها.

عندما فتحَ عينيه عرفَ من موقع الشَّمس أنَّ الأصيل في آخِره. شحذَ النَّوم همَّته، واستبدَّ به جوعٌ حاد، ونظرَ رينزفرد حوله بشعورٍ أقرب إلى المرح.

فكَّر: «حيثما سُمعَت أعيرة ناريَّة وُجِدَ بشر، وحيثما وُجِدَ بشر وُجِدَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طعام»، ثم إنه تساءلَ أيُّ نوعٍ من البشر هُم في مكانٍ وعر كهذا.

تُتاخِم السَّاحل واجهة غابةٍ تمتدُّ شعثاء متلاحمةً بلا ثغرات، ولم يرَ رينزفرد علامةً على دربٍ يخترق شبكة الحشائش والشَّجر المعقَّدة. أسهل إذًا أن يتحرَّك على السَّاحل، وعليه تقدَّم متعثِّرًا بمحاذاة الماء.

ثم، بعد مسافةٍ غير بعيدة عن البُقعة التي رسا فيها، توقَّف.

مخلوقٌ ما جريح، حيوانٌ كبير كما تُشير الأدلَّة، تلوَّى وتخبَّط بين الشُّجيرات، فالحشائش هنا مهشَّمة والطَّحالب مفسَّخة، وإحدى رُقع الحشائش ملطَّخة بالقرمزي.

لفتَ شيءٌ صغير لامع نظر رينزفرد من مسافةٍ غير بعيدة، فالتقطَه ليجده خرطومًا فارغًا.

علَّق: «مسدِّس عيار ٢٢. غريبٌ هذا. مؤكَّد أنه حيوان كبير نوعًا، لكن الصيَّاد تمتَّع بثبات الأعصاب ليُواجِهه بمسدِّسٍ خفيف. واضحٌ أنَّ الدَّابَّة قاومَت. أظنُّ أنَّ الأعيرة الثَّلاثة الأولى التي سمعتها أطلقَها الصيَّاد حين أجبرَ طريدته على الخروج من مخبئها وجرحها، والعيار الأخير حين تعقَّبها إلى هنا وأجهزَ عليها».

فحصَ الأرض بدقَّةٍ وعثرَ على ما أملَ العثور عليه: أثر حذاء صيدٍ يُشير بمحاذاة الجُرف في الاتِّجاه الذي تحرَّك فيه من قبل. بلهفةٍ سعى مسرعًا، يزلُّ بين الحين والآخَر على فرع شجرةٍ ساقط متعفِّن أو حجرٍ متقلقل، ورغم ذلك يمضي قُدمًا، فالليل بدأ يحلُّ على الجزيرة.

كان ظلامٌ كئيب قد طمسَ البحر والغابة عندما لمحَ رينزفرد الأضواء. أبصرَها إذ انعطفَ على خطِّ السَّاحل، وأوَّل ما خطرَ بباله أنه لقيَ قريةً، فالأضواء عديدة، ولكن إذ تقدَّم أكثر انتابَته دهشةٌ عظيمة لمَّا رأى الأضواء كلَّها في مبنًى واحدٍ ضخم، بناء منيف بأبراجٍ مدبَّبة تشمخ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مخترقةً العتمةَ. ميَّزت عيناه الخطوط الظَّليلة لقصرٍ فخم على الطِّراز الفرنسي قائم فوق جُرفٍ مرتفع، وعلى ثلاثةٍ من جوانبه هاويات تغوص إلى حيث يلعق البحر شفتيه الشَّرهتين في الظِّل.

قال رينزفرد في سرِّه: «سراب»، لكنه أدركَ أنه ليس سرابًا حين فتحَ البوَّابة الحديديَّة الطَّويلة المكلَّلة بالخوازيق. الدَّرجات الحجريَّة حقيقيَّة بما فيه الكفاية، والباب الهائل -بمِقرعته ذات شكل الكَرْجَل(2) النَّاظر شزرًا- حقيقيٌّ بما فيه الكفاية، ورغم ذلك شعرَ رينزفرد بأنَّ المكان كلَّه محفوف بجوٍّ من الوهم.

رفعَ المِقرعة فصرَّت بتيبُّس كأنها لم تُستخدَم من قبل قَطُّ، ثم تركَها تَسقُط ليُفزِعه صوتها المدوِّي. خُيِّلَ إليه أنه سمعَ خُطواتٍ بالدَّاخل، إلَّا أنَّ الباب بقيَ مغلقًا، ومرَّةً أخرى رفعَ رينزفرد المِقرعة وتركَها تَسقُط. عندئذٍ انفتحَ الباب، انفتحَ على حين غرَّةٍ كأنه مركَّب على زُنبرك، ووقفَ رينزفرد يطرف بعينيه في نهر الضَّوء الذَّهبي الباهر الذي انصبَّ إلى الخارج. أوَّل ما تبيَّنته عيناه هو أضخم رجلٍ رآه على الإطلاق، مخلوقٌ عملاق متين البنيان، تنسدِل لحيته السَّوداء حتى خصره، ويحمل مسدَّسًا طويل الماسورة بساقيةٍ دوَّارة، يُصوِّبه مباشرةً إلى قلب رينزفرد.

ومن وسط اللِّحية الكثيفة المتشابكة رمقَته عينان صغيرتان.

قال رينزفرد بابتسامةٍ أملَ أنها مطمئنة: «لا تجزع. لستُ لصًّا. لقد سقطتُ من يخت. اسمي سانجر رينزفرد، من نيويورك سيتي».

لم تتبدَّل نظرة الوعيد في العينين، وظلَّ المسدَّس مسدَّدًا كأن العملاق تمثالٌ من حجر. لم يُبدِ أمارةً على فهمه كلام رينزفرد، أو أنه سمعَه حتى. يرتدي الرَّجل زيًّا رسميًّا، زيًّا أسود موشًّى بصوف الأستراخان(3) الرَّمادي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كرَّر رينزفرد: «أنا سانجر رينزفرد من نيويورك. سقطتُ من يخت. إنني جائع».

ردُّ الرَّجل الوحيد أنه جذبَ إبرة مسدَّسه بإبهامه، ثم رأى رينزفرد يده الحُرَّة ترتفع إلى جبهته في تحيَّةٍ عسكريَّة، ورآه يصفق كعبيْه معًا ويقف انتباهًا إذ ظهرَ رجلٌ آخَر نازلًا السَّلالم الرُّخام العريضة، رجلٌ نحيف منتصب القامة يرتدي ملابس مسائيَّةً، تقدَّم إلى رينزفرد ومدَّ يده.

بصوتٍ ينمُّ عن ثقافة، تسمُه لُكنة خفيفة أضفَت عليه دقَّةً ورويَّةً، قال الرَّجل: «إنه لمن أقصى دواعي السُّرور والشَّرف أن أستقبل الصيَّاد الشَّهير المستر سانجر رينزفرد في بيتي».

وبتلقائيَّةٍ صافحَه رينزفرد.

شرحَ الرَّجل: «لقد قرأتُ كتابك عن صيد نمور الثُّلوج في التبت. أنا الجنرال زاروف».

أوَّل انطباعٍ راودَ رينزفرد عن الرَّجل أنه وسيم وسامة متفرِّدة، والثَّاني أنَّ لملامح وجه الجنرال أصالةً أقرب إلى الغرابة. رجلٌ طويل هو، تخطَّى منتصف العُمر، فشعره أبيض ناصع، غير أنَّ سواد حاجبيْه الكثَّيْن وشاربه العسكري المدبَّب يُحاكي اللَّيل الذي أتى منه رينزفرد. عيناه أيضًا سوداوان ولمعتهما قويَّة، وله عظم وجنتيْن مرتفع، وأنفٌ حادٌّ بارز، ووجهٌ أسمر نحيل، وجه رجلٍ تعوَّد إصدار الأوامر، وجهُ أرستقراطي.

التفتَ الجنرال إلى العملاق ذي الزِّي الرَّسمي معطيًا إشارةً، فدسَّ مسدَّسه في جرابه وأدَّى التَّحيَّة العسكريَّة وانسحبَ.

علَّق الجنرال: «إيڤان صاحب قوَّةٍ غاشمة، لكنه مبتلًى بالصَّمم والخرَس. شخصٌ بسيط، ولو أنه للأسف -مثل عِرقه كلِّه- همجيٌّ نوعًا».

- «أهو روسي؟».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أجابَ الجنرال: «إنه قوزاقي»(4)، وأبدَت ابتسامته شفتين حمراوين وأسنانًا مدبَّبةً. «وأنا أيضًا».

ثم قال: «تعالَ. لا يَجدُر بنا أن نقف لنُثرثِر هنا. إنك في حاجةٍ الآن إلى ثيابٍ وطعامٍ وراحة، وستحظى بكلِّ هذا. هذه البُقعة مريحة جدًّا».

ظهرَ إيڤان من جديد، وخاطبَه الجنرال بشفتين تحرَّكتا وإن لم يَخرُج من بينهما صوت.

قال الجنرال: «اتبع إيڤان من فضلك يا مستر رينزفرد. كنتُ على وشك تناوُل عشائي عندما وصلتَ. سأنتظرك. ستجد ثيابي مناسبةً لمقاسك على ما أظنُّ».

إلى غُرفة نومٍ ضخمة ذات سقفٍ مزوَّد بعوارض خشبيَّة، تضمُّ فِراشًا بمظلَّةٍ يسع ستَّة أفراد، تبعَ رينزفرد العملاق الصَّامت.

وضعَ إيڤان على الفِراش بدلةً مسائيَّةً، وبينما ارتداها رينزفرد لاحظَ أنها مفصَّلةٌ عند ترزيٍّ لندني لا يقصُّ ويخيط عادةً لأحدٍ أدنى مرتبةً من دوق.

غُرفة الطَّعام التي قادَه إليها إيڤان باهرة من نواحٍ شتَّى، لها سمتٌ من أبَّهة القرون الوُسطى، إذ تُوحي بقاعةٍ بارونيَّة من أزمنة الإقطاع، بألواحها السِّنديان وسقفها العالي ومائدتها الطَّويلة التي تكفي لأن يجلس إليها أربعون فردًا ليأكلوا. حول القاعة رؤوس حيواناتٍ عديدة معلَّقة: أسود وبُبور وأفيال وأمواظ ودِببة، عيِّنات لم يرَ رينزفرد أكبر أو أبدع منها قطُّ.

جلسَ الجنرال وحده إلى المائدة العظيمة، وقال مقترحًا: «ستشرب كوكتيلًا يا مستر رينزفرد».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجدَ رينزفرد الكوكتيل ممتازًا لدرجةٍ فاقَت توقُّعاته، كما لاحظَ أنَّ تجهيزات المائدة من أجود الأنواع؛ المفرش والكؤوس البلَّوريَّة والأدوات الفضِّيَّة وآنية الخزف الصِّيني. أكلا البورش، الحساء الأحمر الدَّسم بالكِريمة المخفوقة، الذي تعتزُّ به الذَّائقة الروسيَّة أيَّما اعتزاز.

بلهجةٍ شبه اعتذاريَّة قال الجنرال زاروف: «إننا نفعل ما بوسعنا للحفاظ على مطايب الحضارة هنا. أرجو أن تُسامِحنا على أيِّ تقصير. نحن بعيدون جدًّا عن الطَّريق المطروق كما تعلم. أتحسب أنَّ الشامپانيا تضرَّرت من رحلتها الطَّويلة في المحيط؟».

أعلنَ رينزفرد: «على الإطلاق».

الحقيقة أنه يجد الجنرال مضيفًا في منتهى المراعاة والكياسة، مواطنًا عالميًّا حقًّا. على أنَّ للجنرال خصلةً واحدةً صغيرةً أثارَت انزعاج رينزفرد، فكلَّما رفعَ عينيه عن طبقه رأى الجنرال يتفرَّس فيه، يُقيِّمه بدقَّة.

قال الجنرال زاروف: «ربَّما أدهشَك أني تعرَّفتُ على اسمك. الواقع أنني قرأتُ جميع الكُتب المنشورة عن الصَّيد بالإنجليزيَّة والفرنسيَّة والروسيَّة. إنَّ لي شغفًا واحدًا في الحياة يا مستر رينزفرد، ألا وهو الصَّيد».

ردَّ رينزفرد وهو يأكل شريحةً ممتازة الطَّهوِ من الفيليه منيون: «عندك بعض الرُّؤوس الرَّائعة هنا. هذا الجاموس الإفريقي أكبر ما رأيتُ على الإطلاق».

- «أوه، ذلك الرَّفيق. نعم، كان وحشًا».

- «هل هاجمَك؟».

أجابَ الجنرال: «قذفَني لأرتطم بجذع شجرة. جمجمتي انشرخَت، لكنني ظفرتُ بالبهيمة».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال رينزفرد: «لطالما ارتأيتُ أنَّ الجاموس الإفريقي أخطر الفرائس الكُبرى جميعًا».

للحظةٍ لم يردَّ الجنرال، بل ابتسمَ ابتسامته الغريبة حمراء الشَّفتين، ثم قال ببُطء: «لا. أنت مخطئ يا سيِّدي. الجاموس الإفريقي ليس أخطر الفرائس الكُبرى»، ورشفَ من نبيذه قبل أن يُتابِع بالنَّبرة البطيئة نفسها: «هنا في محميَّتي على هذه الجزيرة أصطادُ فرائس أخطر».

أعربَ رينزفرد عن دهشته بسؤاله: «أعلى هذه الجزيرة فرائس أكبر؟».

أومأ الجنرال برأسه مجيبًا: «الأكبر على الإطلاق».

- «حقًّا؟».

- «أوه، ليس هذا موطنها الطَّبيعي بالتَّأكيد. عليَّ تزويد الجزيرة بها».

سألَه رينزفرد: «ماذا استوردت يا جنرال؟ بُبورًا؟».

ابتسمَ الجنرال قائلًا: «لا. صيد البُبور كفَّ عن إثارة اهتمامي منذ سنوات. الحقيقة أني استنزفتُ إمكانيَّاتها. لم تتبقَّ في البُبور إثارة، لم يَعُد فيها خطرٌ حقيقي. إنني أعيشُ في سبيل الخطر يا مستر رينزفرد».

التقطَ الجنرال من جيبه عُلبة سجائر ذهبيَّةً، وقدَّم إلى ضيفه سيجارةً سوداء طويلةً بعقبٍ فضِّي، معطَّرةً تبعث رائحةً كالبخور.

قال الجنرال: «سنقضي أنا وأنت وقتًا رائعًا في الصَّيد. سيُسعِدني جدًّا أن أحظى بصُحبتك».

بدأ رينزفرد يسأل: «ولكن ما الفريسة...».

قاطعَه الجنرال: «سأخبرك. أعلمُ أنك ستستطرِف الأمر. أظنُّ أنَّ باستطاعتي أن أقول -بكلِّ تواضُع- إنني فعلتُ شيئًا نادرًا. لقد ابتكرتُ ضربًا جديدًا من الإثارة. ألي أن أصبَّ لك كأس بورت أخرى يا مستر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رينزفرد؟».

- «أشكرك يا جنرال».

ملأ الجنرال كلتا الكأسين، وقال: «الله يخلق بعض الرِّجال شُعراء، وبعضهم يخلقهم ملوكًا، وبعضهم شحَّاذين. أمَّا أنا فخلقَني صيَّادًا. يَدي مخلوقة للزِّناد، كما قال أبي. كان رجلًا فاحش الثَّراء، يملك رُبع مليون أكرٍ في شبه جزيرة القرم، ومولعًا بالرِّياضة. وأنا في الخامسة من العُمر لا أكثر أعطاني مسدَّسًا صغيرًا صُنِعَ لأجلي خصِّيصًا في موسكو لأطلق به النَّار على العصافير، وحين أطلقتُ به النَّار على بعض ديوك أبي الروميَّة القيِّمة لم يُعاقِبني، بل أثنى على مهارتي في الرِّماية. لقد قتلتُ دُبِّي الأوَّل في القوقاز وأنا في العاشرة. حياتي بأكملها صيدُ واحد مديد. دخلتُ الجيش -وهو المتوقَّع من أبناء النُّبلاء- ولمُدَّةٍ قدتُ شُعبةً من سلاح الفُرسان القوزاقي، لكن اهتمامي الحقيقيَّ ظلَّ الصَّيد دومًا. لقد اصطدتُ كلَّ نوعٍ من الفرائس في كلِّ بلد، ومن المستحيل أن أحصي لك الحيوانات التي قتلتها».

نفثَ الجنرال دُخان سيجارته، وتابعَ: «بعد النَّكبة في روسيا تركتُ البلاد، فمن الرُّعونة أن يبقى ضابط من ضُبَّاط القيصر هناك. نُبلاء روس كُثر خسروا كلَّ شيء، أمَّا أنا فلحُسن الحظِّ استثمرتُ أموالًا طائلةً في السَّندات الأمريكيَّة لكيلا أضطرَّ أبدًا إلى فتح صالة شايٍ في مونت كارلو أو قيادة تاكسي في باريس. بطبيعة الحال استمررتُ في الصَّيد؛ دببة شهباء في جبال روكي عندكم، وتماسيح في نهر الجانج، وخراتيت في شرق إفريقيا. في إفريقيا ضربَني الجاموس وأرقدَني ستَّة شهور. حالما تعافيتُ توجَّهتُ إلى الأمازون لأصطاد اليغاوِر، فقد سمعتُ أنَّ مكرها غير معتاد».

وتنهَّد القوزاقي مواصلًا: «لم أجدها ندًّا البتَّة لصيَّادٍ سريع البديهة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحمل بندقيّةً فائقة القوّة، وأصابَتني خيبة أملٍ مريرة. ذات ليلةٍ كنتُ مستلقيًا في خيمتي أعاني صداعًا يفلق الرَّأس عندما أقحمَت فكرة رهيبة نفسها في عقلي. الصَّيد بدأ يُضجِرني! والصَّيد -تذكَّر- حياتي. سمعتُ أنَّ رجال الأعمال في أمريكا كثيرًا ما ينهارون حين يتخلَّون عن العمل الذي عدُّوه حياتهم».

قال رينزفرد: «نعم، صحيح».

ابتسمَ الجنرال قائلًا: «وأنا لم أرغب في الانهيار. عليَّ أن أفعلِ شيئًا. اعلم أنَّ عقلي عقلٌ تحليليٌّ يا مستر رينزفرد. مما لا شكَّ فيه أنَّ هذا هو سبب استمتاعي بمشكلات المطاردة».

- «لا شكَّ يا جنرال زاروف».

تابعَ الجنرال: «هكذا سألتُ نفسي لِمَ لم يَعُد الصَّيد يفتنني. أنت أصغر مني بكثير يا مستر رينزفرد، ولم تُمارِس الصَّيد بقدر ما مارسته، ولكن لعلَّ بإمكانك تخمين الجواب».

- «ما هو؟».

- «هذا ببساطة: الصَّيد لم يَعُد شيئًا يُمكنك أن تصفه بالنَّشاط المسلِّي. لقد أصبحَ في غاية السُّهولة. دائمًا ظفرتُ بطريدتي، دائمًا. لا شيء أشد إثارةً للملل من الكمال».

أشعلَ الجنرال سيجارةً جديدةً، وأردفَ: «لم تَعُد لأيِّ حيوانٍ فُرصة للنَّجاة مني. ليس هذا بتفاخُر، بل يقينٌ حسابي. الحيوان لا يملك إلَّا قوائمه وغريزته، والغريزة لا قِبل لها بالعقل. حين فكَّرتُ في هذا كانت لحظةً مأساويَّةً لي، أؤكِّدُ لك».

مالَ رينزفرد من فوق المائدة مستغرقًا في ما يقوله مضيفه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واصلَ الجنرال: «ثم خطرَ لي ما عليَّ أن أفعله كأنه وحيٌ».

- «ألا وهو؟».

ابتسمَ الجنرال ابتسامةً هادئةً لشخصٍ واجهَ عقبةً وذلَّلها، وأجابَ: «كان عليَّ اختراع حيوانٍ جديد لأصطاده».

- «حيوان جديد؟ أنت تمزح».

- «إطلاقًا. إنني لا أمزحُ بشأن الصَّيد أبدًا. لقد احتجتُ إلى حيوانٍ جديد، ووجدتُ واحدًا. هكذا اشتريتُ هذه الجزيرة وبنيتُ هذا المنزل، وهنا أمارسُ صيدي. الجزيرة مكانٌ مثاليٌّ لأغراضي، ففيها أدغالٌ تحوي متاهةً من الدُّروب، وتلالٌ ومستنقعات...».

- «ولكن ما الحيوان يا جنرال زاروف؟».

قال الجنرال: «أوه، إنه يُزوِّدني بأشد أنواع الصَّيد إثارةً في العالم. لا صيد آخَر يُقارَن به ولو لحظةً. الآن أصطادُ كلَّ يومٍ ولا أشعرُ بالملل أبدًا، لأن عندي طريدةً يُمكنني أن أباري بها ذكائي».

لاحَت حيرة رينزفرد على وجهه، فشرحَ الجنرال: «لقد أردتُ الحيوان المثاليَّ للصَّيد، ولذا قلتُ: ما صفات الحيوان المثالي؟ والإجابة بالطَّبع: لا بُدَّ أن يتمتَّع بالشَّجاعة والمكر، وفوق كلِّ شيءٍ لا بُدَّ أن يتمتَّع بالقُدرة على التَّفكير».

قال رينزفرد معترضًا: «ولكن لا حيوان يستطيع التَّفكير».

ردَّ الجنرال: «أيُّها الزَّميل العزيز، يُوجَد واحد يستطيع».

شهقَ رينزفرد قائلًا: «لا يُمكن أنك تعني...».

- «ولِمَ لا؟».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- «لا أصدّقُ أنك جادٌ يا جنرال زاروف. هذه مزحة شنيعة».

- «ولِمَ لا أكونُ جادًا؟ إنني أتحدَّثُ عن الصَّيد».

- «الصَّيد؟ بالله عليك يا جنرال زاروف، ما تتحدَّث عنه قتل».

ضحكَ الجنرال بطيبة نفسٍ تامَّة، ورمقَ رينزفرد بتساؤلٍ قائلًا: «أرفضُ أن أصدّق أنَّ شابًّا عصريًّا متحضِّرًا مثلك يكنُّ على ما يبدو أفكارًا رومنسيَّةً عن قيمة حياة الإنسان. مؤكَّد أنَّ تجاربك في الحرب...».

بجمودٍ أنهى رينزفرد عبارة الجنرال: «لم تجعلني أتغاضى عنْ القتل بدمٍ بارد».

رجَّ الضَّحك جسد الجنرال، وقال: «يا لطرافتك الاستثنائيَّة! المرء لا يتوقَّع في أيَّامنا هذه أن يجد شابًّا من الطَّبقة المتعلِّمة، حتى في أمريكا، يحتفظ بوجهة نظرٍ بهذه السَّذاجة، وإن سمحت لي بالقول، وجهة نظرٍ تليق بمنتصف العصر الڤيكتوري. الأمر مثل العثور على غُلبة تشوق في ليموزين. آه، حسن، لا ريب أنَّ لك أسلافًا پيوريتانيِّين(5). يبدو أنَّ لأمريكيِّين كُثرًا أسلافًا من هؤلاء. أراهنُ أنك ستنسى أفكارك هذه حين تذهب للصَّيد معي. في انتظارك نوعٌ جديد أصيل من الإثارة يا مستر رينزفرد».

- «شكرًا. إنني صيَّادٌ لا قاتل».

قال الجنرال بمنتهى الرَّزانة: «عجبًا! تلك الكلمة القبيحة مرَّةً أخرى. ولكن أظنُّ أنَّ بإمكاني أن أريك أنَّ هواجسك بلا أيِّ أساس».

- «نعم؟».

- «الحياة للأقوياء، يعيشها الأقوياء، وإن لزمَ الأمر ينتزعها الأقوياء. ضُعفاء العالم وُضِعوا فيه مسرَّةً للأقوياء. أنا قويٌّ، فلِمَ لا أستغلُّ هبتي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه؟ إذا شئتَ الصَّيد فلِمَ لا أصطادُ؟ إنني أصطادُ حُثالة الأرض، بحَّارةً من السُّفن المتشرِّدة، لَسكريِّين(6) وسودًا وصينيِّين وبيضًا وهِجانًا، يسوى حصانٌ أو كلبٌ أصيل واحد أكثر من عشرين منهم».

ردَّ رينزفرد بحرارة: «لكنهم بشرٌ!».

قال الجنرال: «بالضَّبط. لهذا أستخدمهم. يسرُّني هذا النَّشاط. إنهم يستطيعون التَّفكير إلى حدٍّ ما، وهو ما يجعلهم خطرين».

- «ولكن من أين تأتي بهم؟».

أسبلَ الجنرال جفنه الأيمن في غمزةٍ مجيبًا: «هذه الجزيرة اسمها «مصيدة السُّفن». أحيانًا يُرسِلهم إليَّ إله أعالي بحارٍ غاضب، وأحيانًا عندما لا تتعطَّف عليَّ العناية الإلهيَّة أساعدُ أنا العناية الإلهيَّة قليلًا. تعالَ معي عند النَّافذة».

فذهبَ رينزفرد عند النَّافذة، ونظرَ نحو البحر.

صاحَ الجنرال مشيرًا إلى مكانٍ ما في اللَّيل: «شاهِدْ هناك!».

لم ترَ عينا رينزفرد إلَّا السَّواد، ثم، إذ ضغطَ الجنرال زرًّا، رأى رينزفرد أضواءً تُومِض بعيدًا في البحر.

قهقهَ الجنرال قائلًا: «إنها تُشير إلى قناةٍ في حين أن لا قناة هنالك، بل تقبع صخور هائلة بحافاتٍ حادَّة كالأمواس مثل وحشٍ بحري بفكَّين مفغورين على اتِّساعهما. من شأنها أن تسحق أيَّ سفينةٍ بسهولة سحقي هذه الجوزة»، وأسقطَ جوزةً على الأرضيَّة الخشب الصُّلبة وداسَها بكعبه حتى سحقَها، ثم قال بلهجةٍ عرَضيَّة كأنما يُجيب عن سؤال: «أوه، نعم، عندي كهرباء. إننا نُحاوِل أن نعيش بتحضُّرٍ ها هنا».

- «بتحضُّر؟ وأنت تضرب النَّاس بالنَّار؟».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ظهرَت لمحة من الغضب في عينَي الجنرال السَّوداوين، وإن لم تَمكُث هناك إلَّا لحظةً، ثم قال بأسلوبه الأدمث: «ويحي! يا لك من شابٍّ نزيه! أؤكِّدُ لك أني لا أفعلُ شيئًا مما ترمي إليه. إنَّما تلك همَجيَّة. إنني أعاملُ هؤلاء الزُّوَّار بكلِّ مراعاة، فيحظون بكثيرٍ من الطَّعام الشَّهي والمران، ويَبلُغون حالةً بدنيَّةً رائعةً. سترى بنفسك غدًا».

- «ماذا تعني؟».

أجابَ الجنرال مبتسمًا: «سنزور مدرستي للمران. إنها في القبو. عندي نحو دستةٍ من التَّلامذة بالأسفل الآن. أتوا من المركب الإسپاني «سانلوكر»، الذي قادَه حظُّه العاثر إلى الاصطدام بالصُّخور المقطَّعة هناك. يُؤسِفني أن أقول إنهم ثُلَّة حقيرة جدًا، عيِّنات رديئة اعتادَت سطوحَ السُّفن أكثر من الأحراش».

رفعَ الجنرال يده، فجلبَ إيڤان -الذي يخدم في دور السَّاقي- قهوةً تركيَّةً ثقيلةً، فيما بذلَ رينزفرد جهدًا ليُمسِك لسانه.

استأنفَ الجنرال بكياسة: «إنها لُعبة. أقترحُ على أحدهم أن نذهب للصَّيد، وأزوِّده بمخزونٍ من الطَّعام وسكِّين صيدٍ ممتاز، وأعطيه ثلاث ساعاتٍ أفضليَّةً، وبعدها أتبعه مسلَّحًا فقط بمسدَّسٍ من أصغر عيارٍ وأضيق مدى. إذا تملَّص مني طريدي هذا ثلاثة أيَّامٍ كاملةً فهو الفائز، أمَّا إذا عثرتُ عليه...»، وابتسمَ الجنرال إذ أكملَ: «فهو الخاسر».

- «وإذا رفضَ أن يكون هدفًا للصَّيد؟».

- «أوه، إنني أمنحه الخيار بالطَّبع. ليس عليه أن يلعب تلك اللُّعبة إذا لم يرغب، وإذا لم يرغب في الصَّيد أعطيه لإيڤان. لقد حظيَ إيڤان في الماضي بشرف الخدمة جلَّادًا رسميًا عند القيصر الأبيض العظيم(7)، ولديه أفكاره الخاصَّة عن التَّسلية. بلا استثناءٍ يا مستر رينزفرد، بلا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استثناءٍ يختارون الصَّيد».

- «وإذا فازوا؟».

اتَّسعت الابتسامة على وجه الجنرال، وردَّ: «حتى يومنا هذا لم أخسر ولو مرَّةً».

ثم أضافَ بعجلة: «لا أريدك أن تحسبني متبجِّحًا يا مستر رينزفرد. كثيرٌ منهم لا يُمثِّل إلَّا أبسط التَّحدِّيات طرًّا. بين الفينة والفينة أحصلُ على أحد التَّتار. واحدٌ منهم كادَ يفوز، وفي النِّهاية اضطررتُ إلى استخدام الكلاب».

- «الكلاب؟».

- «من هنا من فضلك. سأريك».

وجَّه الجنرال رينزفرد إلى النَّافذة. بالخارج بعثَت نوافذ المنزل إضاءةً متذبذبةً رسمَت أنماطًا شائهةً في السَّاحة بالأسفل، ورأى رينزفرد دستةً أو نحوها من الأجسام السَّوداء الضَّخمة تتحرَّك هنا وهناك، وإذ التفتَت في اتِّجاهه التمعَت عيونها بالأخضر.

علَّق الجنرال: «زُمرة ممتازة في رأيي. كلَّ ليلةٍ في السَّابعة يُطلَق سراحها، وإذا حاولَ أحدهم أن يَدخُل منزلي -أو يَخرُج منه- وقعَ له شيء مؤسف جدًّا». قالها وشرعَ يُدندِن مقطوعةً من أغنيَّةٍ من كباريه فولي برجير الپاريسي.

ثم قال الجنرال: «والآن أريدُ أن أريك مجموعتي من الرُّؤوس. هلَّا أتيت معي إلى المكتبة؟».

ردَّ رينزفرد: «آملُ أن تَعذُرني اللَّيلة يا جنرال زاروف. لا أشعرُ أني بخيرٍ نهائيًا».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سألَ الجنرال باهتمام: «آه، حقًّا؟»، ثم أردفَ: «حسن، أظنُّها حالةً طبيعيَّةً بعد الوقت الطَّويل الذي قضيته في السِّباحة. إنك بحاجةٍ إلى نومٍ هانئ مريح. غدًا ستَشعُر كأنك رجل جديد، أراهنك. وعندئذٍ نذهب للصَّيد، إه؟ إنَّ عندي مرشَّحًا واعدًا جدًّا...».

كان رينزفرد يهرع مغادرًا الغُرفة بالفعل.

ناداه الجنرال: «يُؤسِفني أنك لا تستطيع الذَّهاب معي اللَّيلة. أتوقَّعُ تسليةً لا بأس بها بالمرَّة... إنه أسودُ قويٌّ كبير، يبدو واسع الحيلة... حسن، طابَت ليلتك يا مستر رينزفرد. آملُ أن تنام نومًا مريحًا».

***

وجدَ رينزفرد الفِراش مريحًا، والمنامة من أنعم أصناف الحرير، ولكن على الرَّغم من التَّعب الذي ألمَّ بكلِّ خليَّةٍ من خلاياه لم يستطِع تهدئة مُخِّه بالأفيون المنوِّم، بل استلقى على الفِراش بعينين مفتوحتين على وسعهما.

في مرَّةٍ خُيِّلَ إليه أنه سمعَ خُطواتٍ تتسلَّل في الرُّواق خارج غُرفته. حاولَ أن يفتح الباب، لكنه أبى أن ينفتح. ذهبَ عند النَّافذة ونظرَ إلى الخارج من المستوى العالي الذي تقع فيه غُرفته بأحد الأبراج. أضواء القصر مطفأةٌ الآن، والمكان مظلمٌ صامت، إلَّا أنَّ في السَّماء كِسرةً من قمرٍ شاحب، وفي نورها الخافت رأى السَّاحة المبهَمة، حيث تتحرَّك أجسامٌ سوداء شاقَّةً طريقها داخل نمط الظِّلال وخارجه دون أن تُصدِر صوتًا.

سمعَته كلاب الصَّيد عند النَّافذة، ورفعَت أعيُنها الخضراء بترقُّب.

عادَ رينزفرد إلى الفِراش وتمدَّد عليه، وبوسائل عدَّة حاولَ دفع نفسه إلى النَّوم.

كان قد حظيَ بغفوةٍ قصيرة فيما بدأ الصُّبح يطلع، حين سمعَ من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

موضعٍ بعيد في الغابة طلقًا ناريًا خفيضًا.

***

لم يظهر زاروف حتى الغداء. ارتدى الجنرال بدلةً من صوف التويد لا تشوبها شائبة، تليق بمالك أراضٍ ريفي، وأبدى اهتمامه بحالة رينزفرد الصحِّيَّة.

تنهَّد الجنرال قائلًا: «أمَّا أنا فلا أشعرُ أني بخير. إنني قلِق يا مستر رينزفرد. البارحة استشعرتُ لمسةً من شكواي القديمة».

وردًا على نظرة رينزفرد المتسائلة، قال الجنرال: «الضَّجر. الملل».

ثم، آخذًا حصَّةً ثانيةً من الكريپ سوزِت، شرحَ الجنرال: «الصَّيد لم يكن موفَّقًا ليلة أمس. الرَّجل فقدَ عقله، خلَّف أثرًا مستقيمًا لم يُقدِّم أيَّ تحدِّيَّاتٍ ألبتَّة. تلك هي المشكلة مع هؤلاء البحَّارة؛ عقولهم عقول بليدة أصلًا، ولا يعرفون كيف يتحرَّكون في الأدغال، فيفعلون أشياءَ في منتهى الغباء والوضوح. شيء يغيظ حقًّا. هل تشرب كأسًا أخرى من الشابلي يا مستر رينزفرد؟».

بحزمٍ قال رينزفرد: «جنرال، أريدُ أن أغادر هذه الجزيرة في الحال».

رفعَ الجنرال حاجبيه الشَّبيهين بدغلين وقد بدا أنَّ الطَّلب أوجعَه، وقال محتجًّا: «ولكن يا زميلي العزيز، لقد وصلت فورًا. لم تذهب للصَّيد...».

قال رينزفرد: «أريدُ أن أرحل اليوم»، ورأى عينَي الجنرال السَّوداوين الميتتين تُحدِّقان إليه وتفحصانه.

ثم انبسطَت أسارير الجنرال زاروف فجأةً، وملأ كأس رينزفرد بالشابلي الثَّمين من زُجاجةٍ مغبَّرة.

قال الجنرال: «اللَّيلة نصطاد، أنت وأنا...».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هزَّ رينزفرد رأسه برفضٍ قائلًا: «لا يا جنرال. لن أصطاد».

هزَّ الجنرال كتفيه، وبرقَّةٍ أكلَ عنبةً من كرمةٍ مزروعة في دفيئةٍ زُجاجيَّة، ثم قال: «كما ترغب يا صديقي. الخيار لك بالكامل. ولكن هلَّا سمحت لي بالإقدام على الإشارة إلى أنك ستجد فكرتي عن التَّسلية مُلهيةً أكثر من فكرة إيقان؟»، وأومأ برأسه نحو الرُّكن الذي يقف فيه العملاق عابسًا مربِّعًا ذراعيه الغليظتين على صدره الشَّبيه بالبرميل.

صاح رينزفرد: «لست تعني...».

قاطعَه الجنرال: «يا زميلي العزيز، ألم أخبرك أني أعني ما أقوله عن الصَّيد دائمًا؟ موقفُ ملهم بحقٍّ هذا. إنني أشربُ نخب خصمٍ جدير بسلاحي... أخيرًا».

رفعَ الجنرال كأسه، لكن رينزفرد ظلَّ جالسًا يُحدِّق إليه.

قال الجنرال بحماسة: «ستجد اللُّعبة تستحقُّ اللَّعب. مُخُك ضد مُخِّي. براعتك في الغِواية ضد براعتي. قوَّتك وجلَدك ضد قوَّتي وجلَدي. شطرنج في العراء! والمسابقة ليست بلا قيمة، إه؟».

Telegram:@mbooks90

بصوتٍ مبحوح بدأ رينزفرد يسأل: «وإذا فزتُ...».

أجابَ الجنرال زاروف: «سأقرُّ بكلِّ سرورٍ بهزيمتي إذا لم أعثر عليك بحلول منتصف ليل اليوم الثَّالث، وسيضعك زورقي على البرِّ الرَّئيسي قُرب بلدة».

استشفَّ القوزاقي ما يُفكِّر فيه رينزفرد، فقال: «أوه، لك أن تثق بي. سأعطيك كلمتي بصفتي جنتلمان ورجلًا رياضيًا. طبعًا عليك في المقابل أن تُوافِق على عدم البوح بشيءٍ عن زيارتك هنا».

ردَّ رينزفرد: «لن أوافق على شيءٍ من ذلك القبيل».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال الجنرال: «أوه، في تلك الحالة... ولكن لِمَ نُناقِش ذلك الآن؟ بعد ثلاثة أيَّامٍ من الآن يُمكننا أن نُناقِشه ونحن نشرب زُجاجةً من القِف كليكو، ما لم...».

ورشفَ الجنرال من نبيذه.

ثم أنعشَه أثيرٌ عمليٌّ ما، وقال لرينزفرد: «إيڤان سيُزوِّدك بملابس صيدٍ وطعامٍ وسكِّين. أقترحُ أن تنتعل حذاء مُقسين(8)، فهذا النَّوع يَترُك آثارًا أخفَّ. أقترحُ أيضًا أن تتجنَّب المستنقع الكبير في شمال شرقي الجزيرة. إننا نُسمِّيه مستنقع الموت، ففيه رمال متحرِّكة. واحد أحمق جرَّبه من قبل. أسوأ ما في الأمر أن لازارُس تبعَه إلى هناك. لك أن تتخيَّل مشاعري يا مستر رينزفرد. لقد أحببتُ لازارُس؛ كان أفضل كلب صيدٍ في قطيعي. حسن، عليَّ أنْ أستأذنك في الانصراف الآن، لأني آخذُ قيلولةً بعد الغداء دائمًا. للأسف لن تجد وقتًا لتغفو قليلًا، فلا شكَّ أنك تُريد الانطلاق. لن أتبعك حتى حلول الغسق. الصَّيد ليلًا أشدُّ إثارةً بكثيرٍ من الصَّيد بالنَّهار، ألا ترى هذا؟ أو رڤوار يا مستر رينزفرد، أو رڤوار».

وبانحناءةٍ مهذَّبة عميقة خرجَ الجنرال زاروف متمهِّلًا من الغُرفة.

من بابٍ آخَر خرجَ إيڤان حاملًا تحت إحدى ذراعيه ثياب صيدٍ من القُماش الكاكي، ومِزود طعام، وغِمدًا جلديًّا يحوي سكِّين صيدٍ طويل النَّصل، فيما استراحَت يده اليُمنى على مسدَّسٍ مقدوح مدسوس في الزُّنار القرمزي حول خصره...

***

طيلة ساعتين كافحَ رينزفرد ليشقَّ طريقه عبر الأدغال.

قال لنفسه: «يجب أن أحافظ على هدوء أعصابي. يجب أن أحافظ على هدوء أعصابي».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حين انغلقت بوَّابة القصر بصوتٍ رنَّان من خلفه لم يكن ذهنه صافيًا تمامًا، وأوَّل فكرةٍ كاملة خطرَت له، أن يضع بينه وبين الجنرال زاروف مسافةً، ولهذه الغاية انطلقَ مدفوعًا بنخساتٍ حادَّة من شعورٍ شبيه جدًّا بالهلع. أمَّا الآن فقد تمالكَ نفسه وتوقَّف وبدأ يُقيِّم نفسه والموقف.

رأى أنَّ الفرار في خطٍّ مستقيم لن يُجدي، فحتمًا سيقوده ذلك إلى البحر وجهًا لوجه. إنه في لوحةٍ إطارها من ماء، ومن الواضح أنه مجبَر على التَّصرُّف في حدود ذلك الإطار.

غمغمَ رينزفرد: «سأعطيه أثرًا ليقتصَّه»، ومضى من الدَّرب البدائي الذي اتَّبعه حتى الآن إلى البراري غير المطروقة، حيث نفَّذ سلسلةً من الحلقات المعقَّدة، وارتدَّ على عقبيْه مقتفيًا أثر نفسه مرَّةً بعد مرَّة، وقد تذكَّر كلَّ معارفه عن صيد الثَّعالب، وجميع الحيل والمناورات التي تستخدمها.

حلَّ عليه اللَّيل وهو فوق حافة تلٍّ كثيفة الأشجار، قدماه متعَبتان، والفروع جلدَت يديْه ووجهه. علمَ أنَّ المضيَّ متخبِّطًا في الظَّلام جنون، حتى إن تمتَّع بالقوَّة، وعليه فحاجته إلى الرَّاحة ملحَّة. هكذا فكَّر: «لقد لعبتُ دور الثَّعلب. الآن عليَّ أن ألعب دور القطِّ في القصَّة الخُرافيَّة»(9).

رأى شجرةً قريبةً جذعها سميك وفروعها متشعِّبة، وبحرص لكيلا يَترُك ولو أضأل علامة، تسلَّق إلى منفرَج الفروع وتمدَّد فوق واحدٍ عريض، وإلى حدٍّ ما استراحَ.

جدَّدت الرَّاحة ثقته بنفسه وبثَّت فيه شعورًا دانى الأمان، وقال لنفسه إنه حتى صيَّاد هُمام كالجنرال زاروف لن يستطيع تتبُّعه إلى هنا، فوحده الشَّيطان ذاته قادر على اقتفاء ذلك الأثر المعقَّد عبر الغابة في الظَّلام.

ولكن لعلَّ الجنرال نفسه شيطان...

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

***

زحفَ ليلٌ شجيٌّ ببُطء ثُعبانٍ جريح، وأبى النَّوم أن يزور رينزفرد على الرغم من صمت العالم الميت الذي خيَّم على الغابة. قُرب الصَّباح، إذ صبغَ الرَّماديُّ الكالح السَّماء، ركَّزت صيحة طائرٍ مفزوع انتباهه في ذلك الاتِّجاه. شيءٌ ما قادمٌ عبر الدَّغل، قادمٌ بتؤدة، بحذر، قادمٌ من الطَّريق الملتوي نفسه الذي أتى منه. تمدَّد منبسطًا بالكامل فوق فرع الشَّجرة، ومن خلال ساترٍ من الأوراق أقرب في السُّمك إلى بساطٍ مزخرَف، شاهدَ.

الشَّيء المقترب إن هو إلَّا رجل.

الجنرال زاروف. شقَّ القوزاقي طريقه بعينين مثبَّتتين بمنتهى التَّركيز على الأرض أمامه، ثم توقَّف أسفل الشَّجرة تقريبًا ونزلَ على رُكبتيه يتفحَّص التُّربة. بعفويَّةٍ أرادَ رينزفرد أن يُلقي بنفسه على الجنرال كالنَّمر، لكنه رأى في يده اليُمنى شيئًا معدنيًا... مسدَّسًا آليًّا صغيرًا.

هزَّ الصيَّاد رأسه عدَّة مرَّاتٍ كأنه حيران، ثم انتصبَ قائمًا وأخرجَ من عُلبته واحدةً من سجائره السَّوداء، وطفَت رائحة دُخانها النفَّاذة الشَّبيهة بالبخور إلى منخرَي رينزفرد.

كتمَ رينزفرد أنفاسه إذ تركَت نظرات الجنرال الأرض وبدأت تتسلَّق الشَّجرة بوصةً بوصة. تجمَّد رينزفرد في مكانه وقد توتَّرت كلُّ عضلةٍ في جسده استعدادًا للوثوب، إلَّا أنَّ عينَي الصيَّاد الحادَّتين توقَّفتا قبل بلوغ الفرع الذي يتمدَّد رينزفرد فوقه، واتَّسعت ابتسامة على وجهه البنِّي.

بأناةٍ بالغة نفخَ الجنرال حلقة دُخانٍ في الهواء، ثم أولى الشَّجرة ظهره وابتعدَ بلا مبالاةٍ عائدًا على الدَّرب الذي أتى منه، وشيئًا فشيئًا خفتَ حفيف أوراق الشُّجيرات التي يحتكُّ بها حذاؤه.

بحرارةٍ تفجَّر الهواء المكبوت من رئتَي رينزفرد. أشعرَته أوَّل فكرةٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خطرَت على باله بالغثيان والخدر، فالجنرال يستطيع اقتصاص الآثار في الغابة ليلًا، يستطيع اقتصاص آثارٍ في غاية التَّعقيد، ولا بُدَّ أنه يتمتَّع بقُدراتٍ خارقة. بالصُّدفة المحضة فقط عجزَ القوزاقي عن رؤية طريدته.

أمَّا ثاني فكرةٍ راودَت رينزفرد فأدهى، وقد بثَّت في كيانه برُمَّته رعدة فزعٍ باردةً. لماذا ابتسمَ الجنرال؟ لماذا عادَ أدراجه؟

لم يُرِد رينزفرد أن يُصدِّق ما أخبرَه عقله بأنه حقيقي، لكنه أدرك الحقيقة جليَّةً كهذه الشَّمس التي تخترق أشعَّتها غيوم الصَّباح. الجنرال يلعب به! الجنرال يدَّخره ليتسلَّى يومًا آخَر! القوزاقي هو القطُّ، ورينزفرد الفأر.

وعندئذٍ علمَ رينزفرد معنى الرُّعب جُملةً وتفصيلًا.

- «لن أفقد أعصابي، لن أفقدها».

انزلقَ من فوق الشَّجرة وعادَ يقطع الغابة بوجهٍ عازم مرغِمًا آليَّة عقله على الدَّوران. بعد ثلاثمئة ياردة من مكمنه توقَّف حيث تستنِد شجرة ضخمة ميتة بغير ثباتٍ إلى واحدةٍ حيَّة أصغر. رمى رينزفرد جوال طعامه والتقطَ سكِّينه من غِمده، وابتدأ يعمل بكلِّ طاقته.

انتهى العمل أخيرًا، وألقى رينزفرد بنفسه أرضًا وراء فرع شجرةٍ ساقط يَبعُد مئة قدم.

لم يضطرَّ إلى الانتظار طويلًا، فالقطُّ قادمٌ من جديدٍ ليلعب بالفأر.

متتبِّعًا الأثر بثقة كلب دَموم، أتى الجنرال زاروف، ولم يُفلِت شيء من هاتيْن العينيْن السَّوداويْن، لا نصل عُشبٍ مهروس ولا غُصين ملوي ولا علامة في الطَّحالب بغضِّ النَّظر عن ضآلتها. بلغَ انهماك القوزاقي في الملاحقة درجة أنه وصلَ إلى الشَّيء الذي صنعَه رينزفرد قبل أن يراه، فلمسَت قدمه الغُصن الذي غُدَّ ليعمل زنادًا، وفي اللَّحظة التي لمسَه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيها استشعرَ الجنرال الخطر الوشيك وقفزَ إلى الخلف برشاقة قرد، إلّا أنه لم يتحرَّك بالسُرعة الكافية، وهوَت الشَّجرة الميتة، المضبوطة بعنايةٍ لتستريح على الأخرى الحيَّة المقطوعة، مصيبةً كتف الجنرال بضربةٍ عابرة، ولولا يقظته لسحقَته سحقًا لا محالة. ترنَّح الجنرال لكنه لم يَسقُط، ولا أسقطَ مسدَّسه، بل وقفَ في مكانه يَفرُك كتفه الجريحة، وسمعَ رينزفرد وقد عادَ الخوف يقبض على قلبه ضحكة الجنرال السَّاخرة ترنُّ في أنحاء الغابة.

رفعَ الجنرال عقيرته قائلًا: «رينزفرد، إن كنت في مجال صوتي، وأظنُّك كذلك، فدعني أهنِّئك. لا يُوجَد رجال كُثر يستطيعون عمل مصيدةٍ بشريَّة على طريقة الملايو. من حُسن حظِّي أني اصطدتُ أنا أيضًا في ملقا. بدأت تُثبِت أنكَ شخص شائق يا مستر رينزفرد. سأذهبُ الآن لأضمد جرحي؛ إنه مجرَّد جرحٍ بسيط. لكنني عائد. إنني عائد».

عندما رحلَ الجنرال متحسِّسًا كتفه المكدومة، استأنفَ رينزفرد فراره. إنه فرارٌ الآن، فرارٌ يائس مستميت حملَه على الحركة بضع ساعات.

حلَّ الغسق، ثم الظُّلمة، ومع ذلك واصلَ التَّقدُّم. أمسَت الأرض أطرى تحت حذائه المُقسين، والنَّباتات أكثر تعفُّنًا وأكثف، ولسعَته الحشرات بشراسة. ثم، إذ خطا إلى الأمام، غاصَت قدمه في بُقعةٍ سبخة. حاولَ انتزاعها، لكن الوحل امتصَّ القدم بضراوةٍ كأنه عَلَقة عملاقة تمتصُّ الدَّم، وبجهدٍ عنيف استطاعَ رينزفرد تحرير قدمه.

عرفَ أين هو الآن: مستنقع الموت برماله المتحرِّكة.

انغلقَت يداه بقوَّةٍ كأنَّ أعصابه شيء ملموس يُحاوِل أحدهم في الظَّلام اختطافه من قبضته. أعطَته طراوة التُّربة فكرةً، فتراجعَ نحو دستة خُطواتٍ عن الرِّمال المتحرِّكة، ومثل قُندسٍ ضخم من عصور ما قبل التَّاريخ بدأ يَحفُر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في فرنسا تعوَّد رينزفرد حفرَ الحُفر لنفسه في حربٍ عنى فيها تأخير ثانيةِ الموت، لكن ذلك مقارنةً بحفره الآن ليس إلَّا لهوًا رائقًا. ازدادَت الحُفرة عُمقًا، ولمَّا بلغَت مستوًى أعلى من كتفيه خرجَ منها، ومن بعض الشُجيرات الصُلبة قطَّع خوازيق وبراها حتى دبَّبها، ثم غرسَ هذه الخوازيق في قاع الحُفرة بحيث تَبرُز رؤوسها المدبَّبة إلى أعلى، وبأصابع حثيثة نسجَ بساطًا خشنًا من الحشائش والفروع وغطَّى به فوَّهة الحُفرة، وبعد ذلك أقعى مبلَّلًا بالعرق متوجِّعًا من الإرهاق وراء أرومة شجرةٍ فحَّمها البرق.

علمَ رينزفرد أن مُطارده قادمٌ إذ سمعَ الخُطوات الخفيفة على التُربة الطَّريَّة، وحملَ نسيم اللَّيل عطر سيجارة الجنرال إلى أنفه.

بدا له أنَّ الرَّجل يتحرَّك بسرعةٍ غير معتادة، لا يتحسَّس طريقه قدمًا قدمًا، ولم يستطِع رينزفرد القابع في مكانه أن يرى الجنرال أو يرى الحُفرة. في دقيقةٍ عاشَ عامًا، ثم شعرَ برغبةٍ قويَّة في الصِّياح فرحًا، فقد سمعَ الطَّقطقة الحادَّة التي أصدرَتها الفروع حين انكسرَت مع انهيار غطاء الحُفرة، وسمعَ صرخة الألم الحادَّة حين أصابَت الخوازيق المدبَّبة هدفها.

قفزَ رينزفرد من مكمنه، ثم تراجعَ منكمشًا، فعلى بُعد ثلاثة أقدامٍ من الحُفرة وقفَ رجل حاملًا كشَّافًا كهربيًّا.

ارتفعَ صوت الجنرال يقول: «أحسنت صُنعًا يا رينزفرد. حُفرة البُبور البورميَّة التي حفرتَها نالَت من أحد أفضل كلابي. مرَّةً أخرى تُحرِز هدفًا. أظنُّ يا مستر رينزفرد أني سأرى ما يُمكنك أن تفعله ضد قطيعي كاملًا. سأرجعُ إلى بيتي لأستريح الآن. شكرًا لك على ليلةٍ في غاية التَّسلية».

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عند الفجر استيقظَ رينزفرد الغافي قُرب المستنقع على صوتٍ أعلمَه أنَّ أمامه أشياءَ جديدةً يتعلَّمها عن الخوف. الصَّوت بعيد، خافت ومتهدِّج، لكنه تعرَّف عليه. إنه نباح قطيعٍ من الكلاب.

عرفَ رينزفرد أنَّ بإمكانه أن يفعل أحد شيئين. إمَّا أن يبقى حيث هو وينتظر، وهذا انتحار، وإمَّا أن يَهرُب، وما هذا إلَّا تأجيل للمحتوم. لبُرهةٍ وقفَ هناك يُفكِّر، ثم خطرَت له فكرة تحمل لمحةً من فُرصةٍ، وعليه شدَّ حزامه على خصره وتحرَّك مبتعدًا عن المستنقع.

غدا نباح كلاب الصَّيد أقرب، ثم أقرب، فأقرب، في غاية القُرب. فوق حافة تلٍّ تسلَّق رينزفرد شجرةً، وعند مجرًى مائيٍّ يَبعُد أقل من رُبع ميلٍ أبصرَ حركةً في الدَّغل. دقَّق نظره فرأى شكل الجنرال زاروف النَّحيل، وأمامه مباشرةً ميَّز رينزفرد شكلًا آخَر تندفع كتفاه العريضتان مخترقتين حشائش الغابة الطَّويلة. إنه العملاق إيڤان، الذي يبدو أن قوَّةً خفيَّةً ما تسحبه إلى الأمام، وعلمَ رينزفرد أنه يقبض على مقاود القطيع.

سيصل مطاردوه إلى موقعه في أيِّ لحظة. عملَ عقله بهياجٍ حتى فكَّر في حيلةٍ ابتكرَها سُكَّان أوغندا الأصليُّون وتعلَّمها منهم. ترجَّل من فوق الشَّجرة، وأمسك شُجيرةً صغيرةً مرنةً، وفيها ثبَّت سكِّينه بحيث يُشير النَّصل إلى اتِّجاه الأثر، وبقليلٍ من غصون الكرم البرِّي ثنى الشُّجيرة وربطَها. ثم انطلقَ مولِّيًا الأدبار. ارتفعَت أصوات الكلاب إذ استنشقَت أنوفها الرَّائحة الطَّازجة، وأدرك رينزفرد شعور الحيوان المحاصَر.

توقَّف مضطرًّا ليلتقط أنفاسه، ثم توقَّف نباح الكلاب فجأةً، وتوقَّف قلب رينزفرد أيضًا. مؤكَّد أنها بلغَت السكِّين.

بحماسةٍ تسلَّق شجرةً ونظرَ وراءه. توقَّف المطاردون، لكن الأمل في عقل رينزفرد ماتَ حين تسلَّق الشَّجرة، إذ رأى في الوادي الضَّحل الجنرال زاروف على قدميه ما زالَ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمَّا إيڤان فلا، فالسكِّين الذي دفعَته ارتدادة الشُّجيرة المرنة لم يفشل بالكامل.

بالكاد كان رينزفرد قد ألقى بنفسه من علٍ عندما عاد القطيع يعوي.

لاهثًا قال لنفسه إذ أسرعَ يَركُض: «أعصابك، أعصابك، أعصابك!».

ظهرَت ثغرة زرقاء بين الأشجار أمامه مباشرةً، وأكثر فأكثر اقتربَت الكلاب. دفعَ رينزفرد نفسه دفعًا صوب الثَّغرة، وبلغَها ليجد نفسه عند ساحل البحر. عبر خليجٍ صغير رأى أحجار القصر الرَّماديَّة الكئيبة، وأسفله بعشرين قدمًا هدرَ البحر واعتلجَ.

تردَّد رينزفرد. ثم سمعَ الكلاب. ثم قفزَ بعيدًا عن الصُّخور في البحر...

حين وصلَ الجنرال وقطيعه إلى البُقعة عند البحر، توقَّف القوزاقي وظلَّ في مكانه عددًا من الدَّقائق يَرمُق فسحة الماء الخضراء المزرقَّة، قبل أن يهزَّ كتفيه ويجلس، ويأخذ جرعةً من البراندي من قنينةٍ فضِّيَّة، ويُشعِل سيجارةً معطَّرةً، ويُدندِن مقطوعةً من أوپرا «المدام فراشة».

***

في ذلك المساء تناولَ الجنرال زاروف عشاءً من أشهى ما يكون في قاعة طعامه العظيمة ذات الجُدران المكسوَّة بألواح الخشب، ومعه شربَ زُجاجةً من شامپانيا پُل روجيه ونصف زُجاجةٍ من نبيذ شومبرتان.

على أنَّ مصدرَي إزعاجٍ طفيفيَن حالا دون استمتاعه بالوجبة على أكمل وجه. أحدهما تعذُّر العثور على بديلٍ لإيڤان، والآخر أن فريسته أفلتَت منه. الأمريكي لم يلعب اللُّعبة بالطَّبع. هكذا فكَّر الجنرال وهو يتذوَّق شراب ما بعد العشاء. ليُروِّح عن نفسه، جلسَ في المكتبة ليقرأ من أعمال ماركوس أورليوس، وفي تمام العاشرة صعدَ إلى غُرفة نومه، وفيما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أوصدَ بابها قال لنفسه إنه متعَب على نحوٍ لذيذ.

ترقرقَ في الغُرفة قليلٌ من نور القمر، وهكذا قبل أن يُشعِل الجنرال ضوء الغُرفة، ذهبَ عند النَّافذة ورنا ببصره إلى السَّاحة حيث رأى كلاب صيده الضَّخمة، فناداها قائلًا: «حظًا أوفر المرَّة التَّالية»، ثم أشعلَ الضَّوء.

ورأى رجلًا كان مختبئًا وسط ستائر الفِراش واقفًا هناك.

صرخَ الجنرال: «رينزفرد! كيف وصلت إلى هنا بحقِّ الله؟!».

أجابَه رينزفرد: «سبحتُ. وجدتُ هذا أسرع من قطع الغابة مشيًا».

التقطَ الجنرال نفسًا عميقًا مضطربًا، وقال مبتسمًا: «أهنِّئك. لقد فزتَ في اللُّعبة».

لم يبتسم رينزفرد، بل قال بصوتٍ مبحوح خفيض: «ما زلتُ حيوانًا محاصَرًا. استعدَّ يا جنرال زاروف».

فانحنى الجنرال انحناءةً عميقةً جدًا، وقال: «مفهوم. رائع! أحدنا سيزوِّد الكلاب بوجبة، والآخَر سينام في هذا الفِراش الوثير. انتباه يا رينزفرد...».

وقرَّر رينزفرد أنه لم ينَم من قبل قَطُّ في فِراشٍ أفضل.

تمّت

---

(1) پردي: شركة مصنعة لأسلحة الصَّيد حسب الطَّلب، أسَّسها جيمس پردي وأبناؤه بلندن في عام 1814. (المُترجم).

(2) الكَراجِل: تماثيل حجريَّة تُصوِّر وجوه مخلوقاتٍ خُرافيَّة قبيحة. (المُترجم).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(3) الأستراخان: صوف مجعَّد لخروف الضَّأن كاراكول المولود ميتًا، وهو ما يُعطيه خصوصيَّةً في طريقة تجعُّده، اشتهرَت به مدينة أستراخان الروسيَّة. (المُترجم).

(4) القوزاق: مجموعة إثنيَّة للسلاقيِّين الشَّرقيِّين الذين يقطنون بجُملتهم السُّهوب الجنوبيَّة في شرق أوربا وروسيا وكازاخستان وسيبيريا. (المُترجم).

(5) البيوريتانيَّة أو التَّطهيريَّة: مذهب بروتستانتي يجمع خليطًا من الأفكار الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة واللَّاهوتيَّة والأخلاقيَّة، ظهرَ في إنجلترا في عهد الملكة إليزابث الأولى، وازدهرَ في القرنين السَّادس والسَّابع عشر، ونادى بإلغاء الرُّتب الكهنوتيَّة. (المُترجم).

(6) اللِّسكريُّون: كلمة عامَّة ذات أصول برتغاليَّة، أُطلقَت من القرن السَّادس عشر إلى منتصف القرن العشرين على البحَّارة العاملين على السُّفن الأوربيَّة، الوافدين من الهند وجنوب شرق آسيا والعالم العربي. (المُترجم).

(7) القيصر الأبيض العظيم: يُحتمَل أن المقصود هو القيصر بيتر العظيم، الذي حكمَ الإمبراطوريَّة الروسيَّة في أوائل القرن الثَّامن عشر، ولو أنَّ هذا يضعه في زمنٍ أقدم كثيرًا من زمن القصَّة. الأرجح أنَّ القيصر المقصود هو نيكولاس الثَّاني. (المُترجم).

(8) المُقسين: نوع من الأحذية من جلد الأيائل، نعله غير مشغول، وجوانبه من قطعةٍ واحدة من الجلد. (المُترجم).

(9) إشارة إلى «الثَّعلب والقطُّ»، وهي قصَّة خُرافيَّة يُناقِش فيها ثعلب وقطُّ الحيَل التي يستخدمانها لتجنُّب الحيوانات المفترسة والصيَّادين. للثَّعلب وسائل عدَّة، أمَّا القطُّ فلا يعرف إلَّا تسلُّق الشَّجر، وعند دنوِّ بعض الصيَّادين يتسلَّق القطُّ شجرةً فيما يُحاوِل الثَّعلب أن يُقرِّر الوسيلة التي عليه استخدامها للهرب، وهو ما يُؤدِّي إلى صيده ومقتله. (المُترجم).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner